البيئة... التنمية المستدامة من منظور إسلامي

أ. بوشامة مصطفى

أ. حواس مولود

الملخص:

تناقش هذه الورقة مفهومي البيئة والتنمية المستدامة من منظور إسلامي، فتتناول البيئة والتنمية، التنمية المستدامة، مفهوم حماية البيئة، مبادئ عامة لتبني تنمية شاملة مستدامة ذات توجه إسلامي، والتربية البيئية في الإسلام.

الكلمات المفتاحية: البيئة، التنمية، التنمية المستدامة، الإسلام.

مقدمة:

لقد أدى التطور الاقتصادي والصناعي والتجاري، إلى إحداث خلل كبير في النظام البيئي بفعل الاستثمار المفرط للثروات الطبيعية، وازدادت مخاطر المخلفات الصناعية في العقد الأخير من القرن العشرين، مع التراجع الشديد في حجم مساحة الغابات والغطاء النباتي، وتراجع المسطحات والأحواض المائية، إلى غير ذلك من مظاهر اختلال التوازن البيئي الذي ألقى بظلاله على مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبشر، وبالتالي ساهم في تغير معطيات التعامل مع البيئة من طرف سكان المعمورة، وذلك نظرا للعواقب الوخيمة على كافة المستويات خاصة التنموية.

ففي العصر الحالي نجد أنّ مختلف النماذج الاقتصادية والابتكارات الجديدة، ترتبط ارتباطا كبيرا بالجانب البيئي، وهذا في الدول المتقدمة التي أضحت تخصص جزءا من مداخيلها للمساهمة في الحد من التلوث البيئي الذي يهدد سلامة ومستقبل الشعوب.

إنّ طبيعة العلاقة بين البيئة والتنمية خاصة منها المستدامة، جد معقدة وعميقة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تصور وجود تنمية حقيقية شاملة لأي مجتمع، دون ربطها بالحالة البيئية، فإذا تصورنا أنّ أي مجتمع حصل على تقدم باهر في شتى المجالات واستثنى المحافظة

على البيئة من حساباته، أكيد أنّه سيتجرع مرارة ذلك في المستقبل، وهذا الأمر نلاحظه في أغلب الاقتصاديات الصناعية التي وضعت البيئة جانبا في السابق، ولكن حاليا اتضح لها فداحة الأمر، فأصبحت تنفق على مختلف الأبحاث من أجل التخفيف على الأقل من وطأة التلوث البيئي ومشكلاته الضخمة التي تكتسي صبغة كونية وعلى رأسها التغيرات المناخية المترتبة عن ظاهرة الانحباس الحراري المترتبة بدورها عن تراكم ثاني أكسيد الكربون في الجو الناتج عن مختلف الأنشطة البشرية الصناعية منها والاجتماعية.

وكلما زادت حدة هذه المشكلات كلّما كان الثمن باهظا وله انعكاسات سلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان المتضررة. ولعل أكثر البلدان تضرراً من هذه المشكلات البيئية الدول النامية التي اعتبرت كملاذ آمن لنفايات البلدان الصناعية وسمومها، رغم أنّ هذه البلدان النامية ليست لها القدرات والإمكانيات الكافية لا على صعيد الوقاية ولا على صعيد العلاج. والعالم الإسلامي بحكم انتمائه إلى مجموعة الدول النامية تواجهه تحديات كبرى لها علاقة وطيدة بالتوفيق بين البيئة والتنمية.

والإشكال الذي يطرح نفسه في هذا المستوى، هو:

«كيف يمكن تحقيق تنمية اقتصادية مع مراعاة الجانب البيئي في ذلك؟ وما هي نظرة الإسلام بهذا الخصوص؟»

للإجابة عن هذه الإشكالية، سنحاول من خلال هذه الورقة مناقشة مفهومي البيئة والتنمية المستدامة مع إظهار النظرة الإسلامية لها، وذلك من خلال المحاور التالية:

- البيئة والتنمية؛
- التنمية المستدامة؛
- مفهوم حماية البيئة؛
- نحو مبادئ عامة لتبني تنمية شاملة مستدامة ذات توجه إسلامي،
- التربية البيئية في الإسلام.

أولا- البيئة والتنمية:

يناقش هذا المحور مفهومي البيئة والتنمية، والعلاقة الموجودة بينهما، وكذا تأثير الفقر والأمية على البيئة والتنمية.

1- مفهوم البيئة: البيئة في اللغة مشتقة من (البوء)، وهي في اللغة تأتي بعدة معاني منها: المنزل أو الموضع (يقال: تبوأت منزلة أي نزلتها، وبوأ له منزلاً وبوأه منزلاً: هيأه ومكن له فيه)[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2]؛ وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[3]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾[4].

أمّا اصطلاحا فتعرف بأنّها: "المحيط الذي يوجد فيه الإنسان وما فيه من عوامل وعناصر تؤثر في تكوينه وأسلوب حياته"[5]؛ وهي تعني كذلك: "إجمالي ما يحيط بنا من الأشياء والتي لها تأثير على وجود الكائنات والموجودات على سطح الأرض، متضمنة الماء والهواء والتربة والمعادن والمناخ والكائنات أنفسهم"، كما يمكن وصفها بأنّها: "مجموعة من الأنظمة المتشابكة مع بعضها البعض والدقيقة والمحددة لدرجة التعقيد والتي تؤثر وتحدد بقاءنا في هذا العالم الصغير ونتعامل معها بشكل دوري"[6].

كما تعرف بأنّها: "ذلك الحيز الذي يمارس فيه البشر مختلف أنشطة حياتهم، وتشمل ضمن هذا الإطار كافة الكائنات الحية من حيوان ونبات، والتي يتعايش معها الإنسان"[7].

---

(1) **ابن منظور**، لسان العرب، (دمشق: دار إحياء التراث العربي، 1999)، ج1، ص530.

(2) سورة يوسف: الآية (56).

(3) سورة الحشر: الآية (09).

(4) سورة الأعراف: الآية (74).

(5) **علي رضا أبوزريق**، البيئة والإنسان، سلسلة دعوة الحق: إصدار رابطة العالم الإسلامي، 1416هـ، ص7.

(6) http://www.alnoor.se/article.asp?id=25629

(7) **خالد محمد القاسمي، وجيه جميل البعيني**، التلوث الصناعي وأثره على البيئة العربية والعالمية، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999)، ص11.

ولقد عرف مدلول مفهوم البيئة تطوراً مع تقدم الإنسان ومع تكاثر الأنشطة التي يمارسها على وجه الأرض. فعلى المستوى التاريخي، عرف مفهوم البيئة في مدلوله تطورا مسايرا للتعقيد الذي اتسمت به العلاقات التي يقيمها الإنسان مع الوسط الذي يعيش فيه. وهكذا، فإنّ البيئة كما عرفها وأدركها الإنسان الأول الذي عاش على جني الثمار والقنص ليست لها نفس الأهمية ونفس المدلول بالنسبة للإنسان الذي اكتشف النار والفلاحة، فبالأحرى بالنسبة للإنسان الذي أصبحت التكنولوجيا هي المحرك الأساس لحياته اليومية. لقد أضحت البيئة مرآة للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي والتكنولوجي الذي وصلت إليه الأمم. وباختصار، إذا كانت البيئة قبل مؤتمري "ستوكهولم"[1] و"تبيليسي"[2] تعرف كمجموعة تتألف من مكونات مادية غير حية، ومكونات حية والعلاقات التي تربط بين هذه المكونات، فإنّ نفس المفهوم عرف تطوراً واضحاً، نتيجة للتغييرات الضخمة التي أدخلها الإنسان على التوازنات البيئية. وبعبارة أخرى، إنّ البيئة لا يمكن أن ينظر إليها في معزل عن الضغوط التي تمارس عليها من طرف الإنسان. كما لا يمكن أن تعرف من مجرد ما يجنيه هذا الأخير من فوائد من الموارد الطبيعية. إنّ هذه النظرة أقل ما يقال عنها إنّها أنانية تضع الإنسان في موقع السيد المسيطر والبيئة في موقع المستعبَد[3].

بالفعل، إنّ مفهوم البيئة لا معنى له إذا بتر منه واحد من أهم أبعاده الأساسية ألاّ وهو البعد البشري المتمثل في المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والأخلاقية والدينية والجمالية... إلخ. إنّ الإنسان، بحكم ذكائه وتطلعه المستمر إلى مستويات عيش من حسن إلى أحسن وخصوصاً على الصعيد المادي، كان استغلاله وتغييره للعديد من مظاهر البيئة مجردين من كل نظر يمكنه من التنبؤ بكل ما يخبئه له المستقبل.

---

(1) مؤتمر تم تنظيمه من طرف الأمم المتحدة بستوكهولم بالسويد من 5 إلى 16 يونيو 1972 حول "البيئة البشرية". وكان أول منبر عالمي يتم التطرق فيه للبعد البشري كمكون أساس لمفهوم البيئة.

(2) مؤتمر تم عقده بمدينة تبيليسي (جورجيا، الاتحاد السوفياتي سابقاً) من طرف منظمة اليونيسكو وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة من 14 إلى 26 أكتوبر 1977 حول التربية البيئية. وهو أول منبر عالمي يعطى فيه لمفهوم البيئة مضمون شمولي يأخذ بعين الاعتبار البعد البشري.

(3) http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P4.htm

إنّ مفهوم البيئة يجب أن يدرك كمفهوم يتسم بالشمولية وككلٍّ غير قابل للتجزيء، حيث يتفاعل كل بعد، بيولوجياً كان أو مادياً أو بشرياً، مع الأبعاد الأخرى ويلعب دوراً حيوياً في توازن هذا الكل وخصوصاً في إدراك المشكلات البيئية. وعندما نتحدث عن البعد البشري، فإنّ الأمر يتعلق بالممارسات والأنشطة التي يقوم بها الإنسان داخل البيئة لأغراض تنموية. ولهذا، فنوعية هذه الممارسات والأنشطة ومدى ملاءمتها مع البيئة أمران أساسيان يؤديان إمّا إلى تخريب هذه الأخيرة وإمّا إلى حمايتها وصيانة مواردها. وبعبارة أخرى، إنّ سلامة البيئة واستمرار توازناتها رهينان بالتوفيق بين هذه الأخيرة والتنمية.

2- مفهوم التنمية: انتشر استخدام مصطلح "التنمية" بعد الحرب العالمية الثانية بين الاقتصاديين والاجتماعيين الذين قسموا دول العالم من حيث بنياتها الاقتصادية وما وصل إليه التطور، من حيث مستوى الحياة الاجتماعية والمعيشية إلى دول متخلفة وأخرى نامية ومتقدمة، ودول سائرة في طريق النمو.

أمّا على المستوى اللغوي، ورد في لسان العرب "نمى، النماء، الزيادة، نما، ينمو، نمواً، زاد وكثر، ونميت الشيء أي رفعته عليه، وكل شيء رفعته فقد نميته، ولهذا قيل نمى الخضاب في اليد والشعر، إنّما ارتفع وزاد وهو ينمو، وكل ارتفاع انتماء ونميت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطبا وذكيتها به، ونميت النار، رفعتها وأشبعت وقودها، والنماء الربح"[1]. وقال "بن فارس": "نمى بالنون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة".

إذن في الأصل اللغوي تعني الكلمة الزيادة والكثرة والارتفاع والربح، والإذكاء والإشباع، أمّا التنمية فتوحي بمعنى فاعلي إرادي يعكس "نمو" الذي تتم زيادته تلقائياً بغض النظر عن أي جهد خارجي مساعد في عملية الزيادة والرفعة، والربح والإشباع، أمّا على المستوى الاصطلاحي فوردت عدة تعريفات للتنمية، أهمها[2]:

- **تعريف هيئة الأمم المتحدة:** "إنّ التنمية هي النمو مع التغيير، والتغيير اجتماعي وثقافي واقتصادي وهو تغيير كمي وكيفي، ولم يعد من الضروري أن نتكلم عن تنمية اقتصادية

(1) **ابن منظور،** مرجع سابق، ص241- 242 .

(2) http://oumifiss.ektob.com/126304.html

وتنمية اجتماعية لأنّ التنمية بوصفها متمايزة عن النمو، يجب أن تشتمل ناحيتين معا بشكل تلقائي، فالمشكلة في رأي الأمم المتحدة ليست النمو الاقتصادي، والزيادة المادية فحسب بل يجب أن يتبع ذلك نمو خلقي ومعنوي ونفسي، أي نمو اجتماعي".

- **الأنتروبولوجي:** عرفها "هيرل جاكسون" بأنّها: "التحقيق المتزايد لقيم المجتمع وثقافته الخاصة"، وقد تبعه في رأيه هذا "جلال أحمد أمين" معتبراً أنّ التقدم ليس هو الزيادة في الناتج القومي، والنمو مع إعادة التوزيع.

- **الفكر الإسلامي:** "عبارة عن نشاط موجه إلى تحقيق الحد الأقصى من الرفاه الإنساني في كل مظاهره المباحة وإلى بناء قوة الأمة في المجالات المطلوبة شرعاً لكي تقوم بدورها في العالم"[1].

وبعبارة أخرى، إنّ التنمية بالنسبة لمجموعة من السكان أو لبلد بأكمله تعني الطموح إلى وضع وإلى غد أفضل على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فعلى المستوى الاجتماعي، "نما" تعني الوصول إلى سد الحاجيات الأساس للجماعات البشرية والسعي إلى الرفع من جودتها باستمرار. فالتنمية الاجتماعية تسعى إلى رفاهية الأشخاص وتحسين جودة حياتهم من خلال سكن لائق وتغذية كافية وملائمة، وتوفير الخدمات في مجالات الطاقة والماء والصحة والتربية والشغل... إلخ.

وعلى المستوى الثقافي، تعني التنمية تحسين المستوى الفكري للجماعات البشرية من خلال تعميم التعليم ومحاربة الأمية والنهوض بالفنون ووسائل الإعلام والتواصل[2].

وبصفة عامة، تعني "تنمية"، بكل بساطة، التمكن من الوصول باستمرار إلى مستوى عيش جيّد من الناحيتين المادية والمعنوية. وإن دل هذا على شيء، فإنّما يدل على أنّ التنمية سياق حركي يؤدي إلى الانتقال من وضع سابق غير مرض إلى وضع لاحق يستجيب بكيفية مُرضية إلى حاجات وطموحات الشخص والجماعة. وإذا كان هذا السياق حركياً، فهو كذلك كمي وكيفي، حيث يعتبر مبدئيا سد الحاجات المادية بمثابة معبر إلى تحقيق

(1) **وليد خالد الشايجي،** المدخل إلى المالية العامة الإسلامية، (ط1، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2005)، ص411.

(2) http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P4.htm

الرفاهية على المستوى المعنوي. فالهدف الأخير من التنمية هو تفتح الشخص، الذي يؤدي إلى تقدم المجتمع. غير أنّ تحقيق أغراض التنمية رهين بما توفره البيئة من موارد، حيث لا مجال للأولى بدون الثانية. وهذا يعني أنّ العلاقة بينهما وطيدة واستمرار توازنها يستدعي العقلانية وبعد النظر في الممارسات والتصرفات والسلوكات.

3- العلاقة بين البيئة والتنمية: كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فكيفما كانت طبيعة وتوجه وهدف التنمية، وأينما وجدت الجهة التي تتحقق فيها هذه التنمية، فهي في حاجة، لكي تصبح واقعاً، إلى موارد البيئة. وهذا يعني أنّ الإنسان الذي يطمح إلى النمو يتصرف كعامل معبئ لتلك الموارد ويحدث بذلك نظاماً من العلاقات بين البيئة والتنمية.

ويستنتج من كل هذا أنّ التنمية بصفة عامة، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بصفة خاصة رهينة بما توفره البيئة من موارد طبيعية. وهكذا، فإنّ العلاقة بين البيئة والتنمية بديهية، غير أنّ المشكل يكمن في الاتجاه الذي يرسمه الإنسان لهذه العلاقة من أجل تحقيق طموحاته التنموية.

في هذا الصدد، لسنا في حاجة اليوم إلى أدلة لنقول إنّ العلاقة التي تربط التنمية بالبيئة تسير في اتجاه واحد، أي من البيئة إلى الإنسان، بحيث "تزود" الأولى و"تضع رهن الإشارة"، بينما الثاني "يأخذ، ويقتطع، ويستغل، ويحول ويحدث الخلل"، إلى حد أنّ العكس نادراً ما يلاحظ. بل أكثر من هذا، إنّ البيئة بحكم ما يسود داخلها من نظام وتفاعل بين مختلف مكوناتها قادرة على امتصاص الاختلالات التي يحدثها الإنسان ما لم تتجاوز هذه الاختلالات حداً معيناً. وإذا تجاوزت هذا الحد، وهذا هو ما تتسم به تصرفات الإنسان حالياً، فإنّ التنمية تصبح، على المدى الطويل، عاملاً هداماً قد تكون له تأثيرات على البيئة يصعب تداركها.

إنّ الانسجام الذي كان سائداً بين المجتمعات البدائية والنظام البيئي الذي كانت تعيش فيه لم يعد إلاّ حدثاً تاريخياً يرويه الإنسان كلّما أحس بحنين إلى طبيعة كانت فيما مضى حفية وكريمة، ولكنّها أضحت في الوقت الراهن نادرة، بل ومعرضة للتقهقر والانقراض.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنّ هذه المجتمعات البدائية كانت تحقق الاكتفاء الذاتي بسهولة، وذلك باعتمادها فقط على عاملين طبيعيين خارجين عن النظام البيئي والأرضي، وهما الشمس والمطر. إنّ مثل هذه المجتمعات حالياً اختفت، وإن وجدت منها بقية،

فإنّها نسيت أو هي بصدد نسيان المعارف والمهارات التي كانت تمكنها من الاستمرار والبقاء. فمنذ دخول الإنسان عصر الصناعة، لم يتوقف عن الإخلال بهذا الانسجام الذي كان مقدساً عند أسلافه. إنّ التنمية أصبحت بالنسبة له مرادفة للاستهلاك والنمو اللامحدودين، حيث إنّ الربح الفوري وخصوصا الأنانية جعلاه ينسى أنّ جزءاً مهماً من هذا النمو ومن هذا الاستهلاك يتم على حساب البيئة، الشيء الذي يعرض للتخريب وللإتلاف القدرة الطبيعية للنظم البيئية على سد حاجاته وحاجات الكائنات الحية الأخرى[1].

إنّ العلاقة بين البيئة والتنمية يجب أن تكون متبادلة من أجل الحفاظ على الأولى وضمان استمرار الثانية وذلك للتوفيق بين أهداف التنمية وضرورات حماية البيئة. وهذا يعني أنّ على الإنسان أن يعيد النظر في أنماط التنمية التي سار عليها إلى حد الآن، والتي لا تنسجم مع التوازنات البيئية. لقد أصبح واضحاً اليوم أنّ البيئة في مواجهة مستمرة مع التنمية.

4- تاثير الفقر والأمية على البيئة والتنمية: إذا كانت التنمية قد ساهمت بكيفية لا يمكن تجاهلها في تحسين ظروف عيش المجتمعات البشرية، فيجب أن لا يغيب عن الأذهان أنّها مع مرور الوقت أصبحت تسيء للبيئة. والأمثلة في هذا الصدد كثيرة ومتنوعة. وهكذا، فإذا كان الإفراط في الاستهلاك عاملاً من العوامل الأساس لتخريب البيئة وتبذير مواردها في الدول المصنعة، فالفقر والأمية يساهمان كذلك في هذا التخريب في الدول النامية. ودول العالم الإسلامي بحكم انتمائها للعالم النامي، توجد في الخانة الثانية، وبالتالي، فالبيئة فيها معرضة لتأثيرات الفقر والأمية. إنّ التنمية في العالم الإسلامي بطيئة ومفعولها محدود في الزمان والمكان، ولا تستطيع سدَّ حتى الحاجات الأولية لشعوبه ولا سيّما من الطاقة والغذاء. أمام هذا الوضع، فإنّ الجماعات البشرية وخصوصاً في الوسط القروي تتجه إلى البيئة الطبيعية لمحاولة سد هذه الحاجات. غير أنّ هذا التصرف غالباً ما يكون خاطئاً وغير ملائم لتوازن النظم البيئية الهشة، ويؤدي إلى تخريب الأوساط من جراء: حرائق الغابات، غزو الإسمنت، اجتثاث الغابات، الرعي المفرط، التعرية، التصحر، إنهاك التربة من جراء ممارسة نوع واحد من الزراعة واستغلال الأراضي الهامشية... إلخ.

(1)Ibid.

كل هذه المشكلات تزداد حدة وخطورة عندما تتزامن مع ظروف مناخية سيئة ومع كون بعض دول العالم الإسلامي تبنت من أجل تصنيعها نماذج أبانت عن فشلها في بلدان أخرى. حينذاك، تضاف إلى المشكلات التي تعاني منها مشكلات عانت منها دول الشمال نفسها. عندها، تصبح البيئة عرضة ليس فقط لضغوط الجماعات البشرية ولكن كذلك لضغوط وتأثيرات ناتجة عن أنماط تنمية أعادت الأخطاء التي وقعت فيها الدول المصنعة منذ سنوات. وفضلاً عن ذلك ونظراً لارتباط تدهور البيئة بالنمو الديموغرافي، فإنّ أكبر نسب لنمو السكان تسجل في العالم الإسلامي[1].

ثانياً- التنمية المستدامة:

يتناول هذا المحور التنمية المستدامة، فيتطرق على الترتيب إلى مفهومها ومبادئها، وكذا العالم الإسلامي وتطلعات المستقبل.

1- مفهوم التنمية المستدامة: لقد أسقطت أدبيات التنمية التقليدية البيئة وتعاملت معها كمجرّد وسيلة لتحقيق التنمية. لقد فصلت هذه الأدبيات بين ما هو طبيعي وما هو اجتماعي وتمّ تجاهل البعد الطبيعي والبيئي في التنمية، وهو البعد الذي اتضح الآن عمق حضوره وتأثيره في مجمل مسارات التنمية والحياة.

يعتبر مفهوم التنمية المستدامة أهم تطور في الفكر التنموي الحديث، وأبرز إضافة إلى أدبيات التنمية خلال العقود الأخيرة.

ويقصد بـ "التنمية المستدامة": "ذلك النوع من التنمية الذي يضمن تلبية حاجات الحاضر دون الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على إشباع الحاجات الخاصة بها"[2]؛ وتعرف كذلك بأنّها: "عملية يتناغم فيها استغلال الموارد وتوجيهات الاستثمار ومناحي التنمية التكنولوجية وتغير المؤسسات على نحو يعزز كلاً من إمكانات الحاضر والمستقبل للوفاء بحاجيات الإنسان وتطلعاته".

(1)Ibid.

(2) "GLOSSAIRE de l'environnement et du développement durable", (Alger : Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, Mars 2004), P6.

ويعرفها المشرِّع الجزائري على أنّها: "ذلك النوع من التنمية الذي يهدف إلى التوفيق بين التنمية الاجتماعية - الاقتصادية وحماية البيئة، أي دمج البعد البيئي في التنمية الهادفة إلى إشباع حاجات أجيال الحاضر والمستقبل"(1).

وعرفها المبدأ الثالث - الذي تقرر في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية الذي انعقد في البرازيل سنة 1992- بأنّها: "ضرورة إنجاز الحق في التنمية، بحيث تتحقق على نحوٍ متساوٍ الحاجات التنموية والبيئية لأجيال الحاضر والمستقبل"(2).

وأشار المبدأ الرابع الذي أقرّه نفس المؤتمر إلى أنّه: "لكي تتحقق التنمية المستدامة ينبغي أن تمثل الحماية البيئية جزءاً لا يتجزأ من عملية التنمية، ولا يمكن التفكير فيها بمعزل عنها".

وينطوي هذان المبدآن اللذان تقررا باعتبارهما جزءاً من جدول أعمال مؤتمر الأمم المتحدة الحادي والعشرين على بعض الدلالات العميقة للغاية بالنسبة لاستخدام وإدارة الموارد الطبيعية والنظام الإيكولوجي والبيئة.

وحينما نتحدث عن التنمية المستدامة، فالأمر يتعلق بالتعامل مع البيئة من زاوية تضمن في آن واحد حاجات الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة من خلال المحافظة على مصادر الحياة والموارد الطبيعية. وبعبارة أخرى، إنّ التنمية المستديمة تسعى إلى ضمان جودة الحياة بصفة عامة للأفراد والجماعات من خلال التنمية الاقتصادية، ولكن دون إلحاق أضرار بالبيئة الطبيعية والمشيدة. انطلاقاً من هذه الاعتبارات، فإنّ التنمية المستدامة تستدعي إعادة النظر ليس فقط في مفهوم التنمية ولكن كذلك في مفهوم البيئة التي يجب أن تُعتَبر، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ككل غير قابل للتجزيء تترتب عنه تغييرات في نوعية العلاقات التي يقيمها الإنسان مع البيئة ومع مواردها. إنّ هذه التغييرات تعتبر تحدياً في حد ذاتها لأنّها قبل أن تكون تغييرات على مستوى الممارسات والتصرفات، فهي أولاً وقبل كل شيء تغييرات على مستوى الفكر والمواقف والقيم.

---

(1) **Article n°4, Loi n° 03-10** du 19 Juillet 2003 relative à la protection de l'environnement dans le cadre du développement durable, Journal officiel de la république algérienne n° 43, P8.

(2) **ف. دوجلاس موسشيت،** مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة: بهاء شاهين، (ط1، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، 2000)، ص11.

فحتّى تتمكن المؤسسات من تسويق منتجاتها وخدماتها بفعالية سواء كان ذلك في الأسواق المحلية أو الخارجية، فإنّها مطالبة بتطبيق إستراتيجية بيئية متكاملة على العمليات الإنتاجية والتسويقية وإعطاء أهمية كبيرة لعمليتي إعادة التدوير والرسكلة بهدف التقليل من المخاطر المتصلة بالإنسان والبيئة المحلية، وأن تحرص على الحفاظ على المواد الخام والطاقة واستبعاد المواد السامة وتقليل كافة النفايات كمًّا وكيفياً[1].

ولقد حددت إحدى الدراسات لـ: "إدوارد باربيي" (Edward Barbier, The concept of sustainable Economic Development ,1987) أربع سمات أساسية للتنمية المستدامة هي[2]:

1. أنّ التنمية المستدامة تختلف عن التنمية في كونها أشد تداخلا وأكثر تعقيدا وخاصة فيما يتعلق بما هو طبيعي وما هو اجتماعي في التنمية.

2. أنّ التنمية المستدامة تتوجه أساساً لتلبية احتياجات أكثر الطبقات فقراً، أي أنّ التنمية تسعى للحد من الفقر العالمي.

3. أنّ التنمية المستدامة تحرص على تطوير الجوانب الثقافية والإبقاء على الحضارة الخاصة بكل مجتمع.

4. أنّ عناصر التنمية المستدامة لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر، وذلك لشدة تداخل الأبعاد والعناصر الكمية والنوعية لهذه التنمية.

والتنمية المستدامة، في هذه الدراسة، هي التنمية التي تحقق التوازن بين النظام البيئي والاقتصادي، والاجتماعي وتساهم في تحقيق أقصى قدر من النمو في كل نظام من هذه الأنظمة الثلاثة، دون أن يؤثر التطور في أي نظام على الأنظمة الأخرى تأثيرا سلبياً.

---

(1) **كلود فوسلر، بيتر جيمس،** إدارة البيئة... من أجل جودة الحياة، ترجمة: علا أحمد إصلاح، (القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة بـ"ميلك"، 2000)، ص74.

(2) **محمد صالح الشيخ،** الآثار الاقتصادية والمالية لتلوث البيئة ووسائل الحماية منها، (ط1، الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2002)، ص93.

2- مبادئ التنمية المستدامة: تعتبر التنمية المستدامة عقيدة بيئية ذات أسس ومبادئ تسهل من عملية التنمية في مفهومها الشامل لجوانب حياة البشرية الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية، وقد تم توضيح هذه المبادئ من قبل "البنك العالمي للإنشاء والتعمير" كما يلي[1]:

•المبدأ الأول: تحديد الأولويات بعناية

اقتضت خطورة مشكلات البيئة وندرة الموارد الطبيعية، التشدد في وضع الأولويات، وتنفيذ إجراءات العلاج على مراحل، وهذه الخطة قائمة على التحليل التقني للآثار الصحية والإنتاجية والإيكولوجية لمشكلات البيئة، وتحديد المشكلات الواجب التصدي لها بفعالية.

•المبدأ الثاني: الاستفادة من كل دولار

كانت معظم السياسات البيئية بما فيها السياسات الناجحة مكلفة بدون مبرر، وبدأ التأكيد على فعالية التكلفة، وأفادت الجهود في هذا المجال في عدة مناطق من العالم. إذ أنّ تطور البحوث العلمية في هذا المجال يسمح بتحقيق إنجازات كثيرة بموارد محدودة، وهو يتطلب نهجا متعدد الفروع ويناشد المختصين والاقتصاديين في مجال البيئة على العمل سويا من أجل تحديد السبل الأقل تكلفة للتصدي للمشكلات البيئية الرئيسية.

•المبدأ الثالث: اغتنام فرص تحقيق الربح لكل الأطراف

بعض المكاسب في مجال البيئة سوف تتضمن تكاليف ومفاضلات، والبعض الآخر يمكن تحقيقه كمنتجات فرعية لسياسات صممت لتحسين الكفاءة والحد من الاستنزاف المفرط لمصادر الطاقة.

•المبدأ الرابع: استخدام أدوات السوق حيثما يكون ممكناً

إنّ الحوافز القائمة على السوق والرامية إلى خفض الأضرار هي الأفضل من حيث المبدأ والتطبيق، فعلى سبيل المثال تقوم بعض الدول النامية بفرض رسوم الانبعاث وتدفق النفايات، ورسوم قائمة على قواعد السوق بالنسبة لعمليات الاستخراج.

---

(1) **أنجد روسيتر،** "المبادئ العشرة للعقيدة البيئية الجديدة"، مجلة التمويل والتنمية، عدد: ديسمبر، 1996، ترجمة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص ص 4- 6.

•المبدأ الخامس: الاقتصاد في استخدام القدرات الإدارية والتنظيمية

يجب العمل على تنفيذ سياسات أكثر تنظيماً ومقدرة، مثل فرض ضرائب على الوقود أو قيود الاستيراد لأنواع معيّنة من المبيدات الحشرية، إدخال مبدإ الحوافز على المؤسسات الصناعية التي تسعى إلى التقليل من الأخطار البيئية.

•المبدأ السادس: العمل مع القطاع الخاص

يجب على الدولة التعامل بجدية وموضوعية مع القطاع الخاص باعتباره عنصراً أساسياً في العملية الاستثمارية، وذلك نمن خلال تشجيع التحسينات البيئية للمؤسسات، وإنشاء نظام الإيزو الذي يشهد بأنّ المؤسسات التي لديها أنظمة سليمة للإدارة والبيئة. وتوجيه التمويل الخاص صوب أنشطة تحسين البيئة مثل مرافقة معالجة النفايات وتحسين كفاءة الطاقة.

•المبدأ السابع: الإشراك الكامل للأفراد

عند التصدي للمشكلات البيئية لبلد ما، تكون فرص النجاح قوية بدرجة كبيرة، إذا شارك المواطنون المحليون في هذه العملية، مثل هذه المشاركة ضرورية للأسباب التالية:

- قدرة المواطنين في المستوى المحلى على تحديد الأولويات؛
- أفراد المجتمعات المحلية يعرفون حلولاً ممكنة على المستوى المحلى؛
- أفراد المجتمعات المحلية يعملون غالباً على مراقبة مشاريع البيئة؛
- إنّ مشاركة المواطنين تساعد على بناء قواعد جماهيرية، تؤثر على الرأي العام وتؤيد التغيير نحو الأحسن.

•المبدأ الثامن: توظيف الشراكة التي تحقق نجاحا

يجب على الحكومات الاعتماد على مبدإ التعاون وتضافر الجهود المشتركة بينها وبين القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني وغيرها، وتنفيذ تدابير مكثفة للتصدي لمشاكل البيئة.

•المبدأ التاسع: تحسين الأداء الإداري المبني على الكفاءة والفعالية

إنّ مهمة الإداريين البارعين إنجاز تحسينات كبيرة في البيئة بأدنى التكاليف، فمثلا أصحاب المصانع يستطيعون خفض نسبة التلوث للهواء والغبار من 60% إلى 80% بفضل تحسين تنظيم المنشآت من الداخل.

•المبدأ العاشر: إدماج البيئة من البداية

عندما يتعلق الأمر بحماية البيئة، فإنّ الوقاية تكون ذات تكاليف منخفضة كثيراً وأكثر فعالية من العلاج، وتسعى معظم البلدان الآن إلى تقييم تخفيف الضرر المحتمل من الاستثمارات الجديدة في قطاعات النشاط الرئيسية، وباتت تضع في الحسبان التكاليف والمنافع النسبية عند تصميم إستراتيجياتها المتعلقة بالطاقة، كما أنّها تجعل من مبدإ حماية البيئة عنصراً فعّالاً في إطار السياسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والتجارية.

3-العالم الإسلامي وتطلعات المستقبل... التنمية المستدامة: أمام هذه التحديات الكبرى التي يواجهها أو سيواجهها العالم الإسلامي في مجال التوفيق بين البيئة والتنمية، من المرغوب فيه أن ينخرط هذا الأخير في التيار الدولي الذي بدأت بوادره في الظهور سنة 1987 مباشرة بعد صدور التقرير[1] الذي أنجزته اللجنة العالمية حول البيئة والتنمية وتكرس بعد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية "ريو" الذي انعقد في البرازيل سنة 1992، والذي تبنى مصطلح "التنمية المستدامة"، التي تقضي بإعادة النظر في أساليب التنمية اللامحدودة التي يعتمد عليها الاقتصاد المعاصر والتي تنهك البيئة وتؤثر سلباً على مصادر الحياة فيها.

إنّ العالم الإسلامي مطالب بأن يرفع هذا التحدي لأنّ الأمر يتعلق بإعادة النظر في نظام القيم الذي بنت عليه العديد من المجتمعات نمط تنميتها وإنتاجها واستهلاكها وعيشها. وبعبارة أخرى إنّ الأمر يتعلق بإصلاح النظام الاجتماعي والثقافي بأكمله، حيث إنّ هذا الإصلاح لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بادر الإنسان المسلم بإعادة النظر في العلاقات التي يقيمها مع البيئة.

إنّ مفهوم التنمية المستدامة يحمل في طياته فلسفة هدفها الأساس هو ملء الهوة التي ما فتئت تتسع بين الإنسان والبيئة، الشيء الذي يقود هذا الإنسان إلى التعايش مع هذه البيئة قلباً وقالباً.

إنّ هذه الثورة الفكرية والأخلاقية والسلوكية ليست عزيزة على دول العالم الإسلامي مادامت هذه البلدان لها من المؤهلات والمبادئ ما يجعلها قادرة على القيام بهذه المهمة.

---

(1) تقرير نشر أولاً باللغة الإنجليزية تحت عنوان "**Future Our Common**" ثم باللغة الفرنسية تحت عنوان " **Notre avenir tous**" (مستقبلنا المشترك) من طرف اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التي تدعى كذلك "لجنة برنتلاند" **(Bruntland Commission)** باسم الوزيرة الأولى للنرويج التي كلفت من طرف الأمين العام للأمم المتحدة بالإشراف على أشغال هذه اللجنة. كانت هذه اللجنة هي أول هيئة عالمية توصي بتبني مفهوم التنمية المستدامة.

بالفعل، إنّ الدين الإسلامي أعطى للبيئة ولمواردها ولاستعمال هذه الموارد واستغلالها وللتوازنات البيئية وللتنوع البيولوجي... إلخ، أهمية كبيرة وخصوصاً من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ثالثاً- مفهوم حماية البيئة:

إنّ مفهوم حماية البيئة حديث العهد حيث تم إدخاله في قاموس المعرفة البيئية خلال أواخر النصف الأول من القرن العشرين. فلا غرابة إذا اقترن ظهور هذا المفهوم بالفترة التي بدأت فيها المجتمعات المعاصرة وخصوصا في الدول المصنعة تعي ما ألحقته تصرفاتها وأنشطتها الصناعية من أضرار بالبيئة.

بالفعل، إنّ الإنسان بما أدخله من تغييرات ضخمة على النظم البيئية تجاوز إلى حد كبير الفطرة التي خلق الله عليها هذه الأرض؛ وبالتالي، لم تعد هذه الأخيرة في أكثر من مكان قادرة على استيعاب هذه التغييرات. فإذا أبدى الإنسان بعض الاستعداد لإصلاح ما أفسده، ففي غالب الأحيان، يبقى هذا الاستعداد على مستوى النوايا وليس على مستوى الأفعال.

فكيف للإنسان أن يصلح ما أفسده في البيئة ونظرته الأنانية لهذه البيئة لم تتغير في شيء؟ فلا يزال الإنسان يطمح إلى السيطرة على البيئة ولا يزال يستغل مواردها استغلالا غير عقلاني ولا يزال يستعمل التكنولوجيات المتناقضة مع نواياه الإصلاحية ولا يزال يطمح إلى تحقيق أعلى المستويات في التقدم الاقتصادي المادي المبني على الإنتاج والاستهلاك اللامحدودين. بل لا يزال يفصل نفسه عن البيئة طمعاً في إخضاعها بواسطة العلم والتكنولوجيا لرغباته الإنمائية.

إنّ الإنسان رغم النداءات المتتالية والآتية من جميع أنحاء المعمورة، لا يزال يتعامل مع البيئة حسب نظرته الأنانية وتفكيره المخطئ الذي يفرز تصرفات مضرة بالبيئة. وخير دليل على ذلك، عدم تحقق كامل أهداف "قمة الأرض الثانية" التي انعقدت بنيويورك خلال سنة 1997، والتقدم البطيء الذي تعرفه الاتفاقيات الثلاث التي انبثقت عن "قمة الأرض الأولى" التي انعقدت "بريو" سنة 1992 والتي تتعلق بتغيير المناخ والتنوع البيولوجي والتصحر. إنّ مفهوم حماية البيئة سوف لن يكتب له النجاح ما دام الإنسان المعاصر متشبثاً بنظرته الأنانية للبيئة وما يترتب عنها من أنماط غير عقلانية لاستغلال الموارد ولبناء الاقتصاد والمستوطنات البشرية والمنشآت الصناعية.

إنّ خروج مفهوم حماية البيئة إلى حيز التطبيق يقتضي أن يغير الإنسان نظرته للبيئة وأن يعود إلى الصواب الذي رسمه له الله في كتابه العزيز؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1].

لقد آن الأوان ليسلك الإنسان السبل التي رسمها له الله والمتمثلة في استعمال العلم استعمالاً يليق وما يتطلبه النهج البيئي السليم. في هذه الحالة، يكون الإنسان قد خطا خطوات نحو التطبيق الفعلي لحماية البيئة.

وفضلاً عن كل هذا، فإذا شعر الإنسان المعاصر بضرورة حماية البيئة يجب أن لا يعني هذا أنّه في الماضي وفي القرون السابقة لم يكن مطالباً بالقيام بهذه المهمة. بل بالعكس، إنّ مفهوم حماية البيئة مرتبط بوجود الإنسان على سطح الأرض وذلك لأنّ الله، من جهة، استخلفه في هذه الأرض، ومن جهة أخرى، لأنّ الإنسان هو أكثر المخلوقات توغلاً في البيئة واستغلالاً لمواردها. فإذا كان الإنسان المعاصر مطالباً بأن يحمي بيئته أكثر من أي وقت مضي، فإنّ هذه الحماية واجب ملازم لوجود الإنسان.

إنّ هذا اللزوم وارد في القرآن الكريم غير ما مرة. فحينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [2] أو ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [3] أو ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ﴾ [4]، فإنّه يدعو الإنسان إلى أن يتجنب الفساد والإسراف لأنّهما عاملان من عوامل تخريب البيئة وتدميرها، وبالتالي، فإنّ الله يدعو هذا الإنسان بصفة غير مباشرة إلى أن يحمي هذه البيئة ويحافظ عليها.

(1) سورة الزخرف: الآية (10).

(2) سورة المائدة: الآية (64).

(3) سورة الأنعام: الآية (141).

(4) سورة الأعراف: الآية (85).

والآيات التي تشير إلى وجوب حماية البيئة من طرف الإنسان كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[1]؛ ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[2]؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]؛ ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[4]؛ ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5]؛ ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾[6]؛ ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[7]؛ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ۝٤٨ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ۝٤٩ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾[8]؛ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى

(1) سورة البقرة: الآية (172).

(2) سورة إبراهيم: الآية (34).

(3) سورة النحل: الآيتين (10- 11).

(4) سورة النحل: الآيات (13- 14- 15).

(5) سورة النحل: الآية (67).

(6) سورة النحل: الآية (81).

(7) سورة طه: الآية (54).

(8) سورة الفرقان: الآيات (48- 49- 50).

ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]؛﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[2].

إنّ هذه الآيات الكريمة تشير كلّها إلى ما أنعم الله به من خيرات ومنافع على الإنسان. والملاحظ أنّها كلّها تنتهي بعدة صيغ تنبه الإنسان من غفلته حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾؛ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾؛ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ؛ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ؛ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾؛ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾؛ ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ؛ ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾.

دل هذا على أنّ الله سبحانه وتعالى وهب لعباده كل ما هم في حاجة إليه من خيرات وأنعم ومنافع. وعندما ينهي آياته القرآنية بالتنبيه، فإنّه في الحقيقة يدعوهم إلى أنّ يعترفوا بهذه النعم بتسبيحه وحمده وذلك بالقيام بمهامهم كمستخلفين في الأرض. ومن ضمن هذه المهام، أمانة المحافظة على البيئة وضمان استمرار ثرواتها.

إنّ التنبيهات التي ينهي بها الله سبحانه وتعالى الآيات سالفة الذكر هي نداء للإنسان بأن يكون في مستوى النعم التي حباه الله إياها. فإذا عبد الناس الله وتفكروا وتذكروا وشكروا واهتدوا وعقلوا وأسلموا وكانوا من أهل النهى وآمنوا وتبصروا وأنابوا، فسيدركون أنّ عليهم حق صيانة وحماية البيئة التي من فضلها يأكلون وينتفعون. لكن الإنسان المعاصر أراد أن يأكل وينتفع ويستفيد دون أن يؤدي مهامه كمستخلف في الأرض ناسياً أن استخلافه هذا أمانة وليس ترخيصاً للتصرف المطلق وغير العقلاني في الخيرات والأنعم والمنافع[3].

إنّ الله حين منح لعباده خيرات الأرض ومنافعها، فقد خول لهم فقط حق الانتفاع، وحق الانتفاع هذا يحتم على المنتفع كلّما حصل على نفع أن يصون مصدر الانتفاع ويحافظ عليه ليستفيد منه في الحاضر والمستقبل.

(1) سورة الشعراء: الآيتين (7- 8).

(2) سورة ق: الآيتين (7- 8).

(3) http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P4.htm

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1]؛ ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[2].

فعندما يقول سبحانه وتعالى: { مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ } فهذا هو حق الانتفاع الذي هو أمانة في عنق الإنسان عليه أن يحافظ عليها ويضمن انتقالها من جيل إلى آخر. فحينما نقول من جيل لآخر، فهذا لا يعني أن هذا الحق يخص فقط أجيال البشر بل إنّه يخص أجيال الكائنات الحية بجميع أنواعها.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[3]؛ وهذا يعني أنّ جميع الكائنات الحية لها حق الانتفاع من خيرات الأرض. غير أنّ هذا الحق لن يكون ممكناً إلاّ إذا أدى الإنسان الأمانة المتمثلة في ضمان انتقال الانتفاع عبر العصور والأجيال، الشيء الذي يعني أنّ على هذا الإنسان بذل المزيد من الجهود لحماية وصيانة مصادر الانتفاع.

وهكذا، فإذا شعر الإنسان المعاصر بضرورة حماية مصادر انتفاعه من البيئة، فإنّه لم يفعل إلاّ ما أمره الله به منذ أن وجد على سطح الأرض.

رابعاً- نحو مبادئ عامة لتبني تنمية شاملة مستدامة ذات توجه إسلامي[4]:

من خلال ما سبق، يتضح أنّ كل ما جاء به الفكر البيئي المعاصر من مفاهيم لتغيير نظرة الإنسان للبيئة قد أشار إليه القرآن الكريم من خلال العديد من آياته المجيدة، سواء تعلق الأمر بمفاهيم شمولية البيئة والتوازن ومحدودية الموارد وتنوع الحياة والغائية أو حماية البيئة.

إن دل هذا على شيء، فإنّما يدل على أنّ الله عز وجل بيّن لعباده في كتابه العزيز التوجهات الكبرى والمبادئ الأساسية العامة التي عليهم أن يتبعوها لتنظيم تعاملهم مع البيئة. وهذا يعني أنّه سبحانه وتعالى وضع الإطار العام الذي يجب أن تنبثق منه تصرفات الإنسان

(1) سورة النازعات: الآيات (30- 33).

(2) سورة عبس: الآيات (24- 32).

(3) سورة الأنعام: الآية (38).

(4) http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P4.htm

داخل البيئة وتصب فيه. وحينما نقول إنّ الله رسم لعباده التوجهات الكبرى والمبادئ الأساس، يجب أن لا يُعَدَّ هذا بمثابة تقييد لأيدي الإنسان، بل العكس، إنّ الله ترك لعباده حرية التصرف ولكن على أن يبقى هذا التصرف فيما رسمه الله من حدود.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

إنّ القرآن الكريم ليس كتاباً في علم البيئة لكنّه يشكل المنبع الأول والأخير الذي يجب أن يبنى عليه هذا العلم. والدليل على ذلك أنّ كل ما توصل إليه العلماء والمفكرون والفلاسفة البيئيون المعاصرون من أفكار ومفاهيم متضمن بكيفية أو بأخرى في القرآن الكريم. وهذا خير دليل على أنّ كتاب الله هو أحسن منطلق وسند يمكن الاعتماد عليه لوضع أسس إسلامية لتنمية مستدامة هادفة. من أجل هذا، يكفي التمعن في الآيات الكريمة العديدة سالفة الذكر. لقد تطرقت هذه الآيات لجميع القضايا والمفاهيم البيئية التي تشغل حالياً بال المجتمع البشري والمفكرين المعاصرين. وهكذا، فإنّ كل مفهوم تم تفسيره من خلال آيات القرآن الكريم يقابله مبدأ أساس عام يمكن استنباطه من نفس الآيات. فمفهوم شمولية البيئة يقابله مبدأ وحدة الكون، ومفهوم التوازن يقابله مبدأ الميزان، ومفهوم محدودية الموارد يقابله مبدأ المقدار، ومفهوم تنوع الحياة يقابله مبدأ تنوع الخلق، ومفهوم الغائية يقابله مبدأ التسبيح، ومفهوم حماية البيئة يقابله مبدأ حراسة الأرض. هذه المبادئ التي تم استنباطها من الذكر الحكيم والتي يمكن أن تكون أساساً لتنمية مستدامة ذات توجه إسلامي. والمقصود هنا بالتنمية المستدامة ذات التوجه الإسلامي لا يعني أنّ للإسلام تنمية مستدامة خاصة به أو أنّه يرفض مفهوم التنمية المستدامة كما هو متعارف عليه اليوم. بل المقصود هو أنّ الإسلام له رؤية فعالة ومتميزة في هذا المجال.

•المبدأ العام الأول: وحدة الكون

كما سبق الذكر، إنّ العديد من آيات القرآن الكريم تشير إلى وحدة الكون الذي هو صنع خالق واحد. وهذا معناه أنّ هذا الكون من صنع هذا الخالق الواحد، أي أنّ عناصره

(1) سورة النمل: الآيات (75- 76- 77).

متداخلة ومتشابكة. والإنسان الذي هو من خلق الله لا يمكن أن يستثنى من هذه الوحدة. فعندما يشير سبحانه وتعالى للخلق، فإنّه يشير إليه من خلال السموات والأرض وما بينهما. وهذا يعني أنّ الخلق عبارة عن وحدة متكاملة ومتناسقة تعمل حسب نسق متوازن. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1].

إنّ تبني مفهوم الشمولية أصبح في الوقت الراهن هدفاً رئيساً يسعى إلى تحقيقه الفكر العلمي بصفة عامة والفكر البيئي بصفة خاصة. وفي هذا الصدد، لابد من الإشارة إلى أنّ مفهوم التنمية المستدامة لا معنى له إذا لم يكن مقترناً على أرض الواقع بشمولية المعرفة. إنّ هذه الشمولية أحد المبادئ التي يرتكز عليها مفهوم التنمية المستدامة كما هو متعارف عليه اليوم. والمقصود هنا بشمولية المعرفة هو تكاملها لتبرز من خلالها وحدة البيئة والترابط القائم بين مكوناتها.

فعندما تم اختيار مبدإ "وحدة الكون" كأول مبدإ للتنمية المستدامة ذات التوجه الإسلامي، فهذا يعني أنّ الإنسان عندما يريد أن يتعامل مع البيئة، عليه أن يعتبرها كوحدة مترابطة الأجزاء. وحتى وإن جزأها على مستوى التفكير ليتعرف عليها، فعمله داخلها يجب أن يكون متطابقاً مع الشمولية ومبنياً على احترامها.

•المبدأ العام الثاني: الميزان

المقصود بالميزان هو ذلك الوضع الوسط الذي يسود بين مكونات الكون والذي بفضله تعمل وتتفاعل هذه المكونات وتقوم بينها علاقات متوازنة. الميزان هو تفادي الإسراف والإفراط والتجاوز في التعامل مع البيئة. لقد بيّنّا كما سبق الذكر، أنّه لا سبيل للحياة إذا لم يكن هناك توازن في نظام الترابط البيئي. فإذا تغاضى الإنسان عن وحدة الكون وتجاوز الفطرة وتخلى عن أمانة الاستخلاف، فإنّه يخل بالميزان الذي جعله الله كضامن لاستمرار الحياة في هذا الكون. والميزان هنا لا يجب أن يدركه الناس فقط بمعنى وزن الأشياء المادية. فكل

(1) سورة الأحقاف: الآية (03).

نشاط أو فعل يقوم بهما الإنسان للتعامل مع البيئة يجب أن يكونا موزونين ليتلاءما مع هذه البيئة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[1].

•المبدأ العام الثالث: المقدار

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2]. أي أنّ الله عز وجل عندما خلق مكونات الكون، راعى في خلقها الكم والكيف ضماناً للتوازن والتناسق. وهذا يعني أنّ هذه المكونات تتواجد في البيئة حسب كميات متفاوتة وأشكال مختلفة. فعندما ننزل مثلاً إلى البحر، فإننا نلاحظ وجود عشرات الأشكال من الحياة التي لا ترى بالعين المجردة. ما كان لهذه الأشكال أن تتساكن وتستمر في الحياة لو لم تقم بينها علاقات متناسقة ومتوازنة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ الكم والكيف يلعبان دوراً حاسماً في استمرار هذا التوازن. فإذا احتوى مثلاً ماء البحر على كميات هائلة وضخمة من العلق النباتي، فذلك راجع لكون هذا العلق من جهة يشكل أول غذاء للعديد من الكائنات الحيوانية مرئية وغير مرئية التي تشكل بدورها مصدراً غذائياً لكائنات أخرى وهكذا. ومن جهة أخرى، فإنّ العلق البحري النباتي يعتبر كذلك أول مزود للهواء بالأكسجين بعد المساحات الخضراء البرية. وهكذا، فإنّ تفاوت الكم بين مكونات البيئة يلعب دوراً في الحفاظ على توازنها، فحينما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[3]، فهذه إشارة إلى أنّ الأشياء لم تخلق عبثاً وأنّ الكم يلعب دوراً في تماسكها وتناسقها.

•المبدأ العام الرابع: تنوع الخلق

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، كلّما تنوعت أشكال الحياة، كلّما كانت للنظم البيئية قدرة عالية لمقاومة التغييرات التي تحدث بها طبيعياً أو من جراء تدخل الإنسان. وهذا يعني أنّ تنوع الخلق وسيلة للحفاظ على وضع هذه النظم البيئية الفطري، أي على توازنها الطبيعي. وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ مبدأ المقدار لا يمكن فصله عن مبدإ تنوع الخلق إذ لا توازن بيئي

(1) سورة الشورى: الآية (17).

(2) سورة القمر: الآية (49).

(3) سورة الرعد: الآية (08).

بدونه. فكلّما تنوع الخلق، كلّما ازدادت فرص تحقيق توازن بيئي مستمر. لقد وفر الله سبحانه وتعالى هذه الفرص في الكون ظاهرة وباطنة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

•المبدأ العام الخامس: حراسة الأرض

عوض أن ينصب الإنسان نفسه سيداً على الأرض، عليه أن يتذكر أنّ الله استخلفه عليها ليقوم بحراستها وصيانتها. والدليل على ذلك أنّه فضله على الكثير من المخلوقات وزوده بالعقل والذكاء والفطنة ليقوم بهذه المهمة أحسن قيام. عليه كذلك أن يسخر ما أوتي من العلم لأداء مهمة الاستخلاف ولضمان استمرار حق الانتفاع من خيرات الأرض له ولغيره من الأجيال اللاحقة؛ غير أنّ هذا الاستمرار يحتم عليه أن يحرس الأرض ويرعاها كما أمره الله بذلك. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

•المبدأ العام السادس: التسبيح

لقد سبق وأن وضحنا أنّ الله سبحانه وتعالى أناط بمخلوقاته مهاماً معينة. فعندما يكون الكائن منهمكاً في أداء هذه المهام، فإنّه في نفس الوقت ينفع نفسه وينفع الكائنات الأخرى. وعندما يؤدي الكائن مهامه، فإنّه يخضع لخالقه الذي أناطه بهذه المهام. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾[3].

فعلى الإنسان أن يعي هذه الحقيقة وأن ينضم للمسبحين لله، وذلك لأداء مهمة الاستخلاف أحسن أداء. إنّ التسبيح هو الخضوع لله والخضوع لله لا يمكن أن يكون خضوعاً إلاّ إذا أدى إلى تطبيق ما أمره الله به. وتطبيق أوامر الله يقتضي أن لا يفصل الإنسان نفسه عن البيئة وأن لا يطغى ويستبد في تعامله معها.

وخلاصة القول، إنّ هذه المبادئ العامة الستة مترابطة فيما بينها واحترامها من طرف الإنسان عند تعامله مع البيئة يعود إلى التنمية المستدامة التي حث عليها الإسلام وأكدها لعمارة الكون وصلاح الإنسان.

---

(1) سورة يس: الآية (36).

(2) سورة يونس: الآية (14).

(3) سورة الأنبياء: الآية (16).

خامساً- التربية البيئية في الإسلام:

إنّ تفاقم المشكلات البيئية في العالم أجمع وما ترتب عليها من مخاطر تهدد كل الكائنات على السواء أصبح من الأمور التي تستوجب من الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات البيئية سواء أكانت مشكلات بيئية على المستوى المادي (تلوث الهواء، تلوث الماء، التلوث الإشعاعي، التلوث الضوضائي، تلوث التربة، تلوث الغذاء... إلخ) أم مشكلات معنوية (تلوث خلقي، تلوث ثقافي، تلوث سياسي، تلوث اجتماعي... إلخ) ومع تسليمنا بأنّ النمط الثاني (التلوث المعنوي) يعتبر الأساس بل والأخطر على البيئة من كل الأنواع الأخرى، بل ويستوجب اهتماما خاصا من كل الجهات المعنية على مستوى الحكومات أو مستوى الهيئات الرسمية وغير الرسمية.

وإذا كانت التربية تعد الأداة ذات الأثر بعيد المدى في تنشئة وإعداد الأجيال إعدادا تربويا يتفق والقيم الأصيلة، ويؤصل لدى الأجيال مفاهيم خلقية واجتماعية تحض على احترام البيئة وتقديرها، مما أعطى المؤسسات التربوية (المدارس، الجامعات، المساجد والنوادي... إلخ) دوراً بارزاً في تحقيق هذا الهدف الأسمى، ولعل الواقع الذي نحياه يملي علينا من المشكلات البيئية بأبعادها ما يجعل المؤسسات التربوية عاجزة عن القيام بمهامها وقد يرجع السبب في رأينا إلى عدم وجود منهج واضح وخطة واضحة ذات أهداف يسهل تحقيقها، وكذلك غياب مفهوم التربية البيئية لدى تلك المؤسسات.

وفي ضوء ما سبق يمكن **تعريف التربية البيئية في الإسلام** بأنها: "النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوراته عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ومطالب التقدم الإنساني المتوازن"[1].

وفي ضوء هذا التعريف للتربية البيئية من منظور إسلامي يجب أن يكون هناك تفاعل إيجابي بين الإنسان والبيئة، وأن يكون ذلك التفاعل شاملا ولا يقتصر على زمان أو مكان معينين، وليصبح جهد الإنسان موحدا وموظفا توظيفا حضاريا وتاريخيا في ضوء العقيدة الإسلامية.

(1) http://www.merbad.net/vb/showthread.php?t=2569

وتأتى أهمية وحتمية وجود أهداف للتربية البيئية من منظور إسلامي لتؤكد للجميع أنّ الإسلام دين يؤكد على احترام وتقدير البيئة انطلاقا من أهداف عدة منها:

✓ تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يحقق دوره المطلوب في الأرض باعتباره خليفة الله فيها.

✓ تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الإنسان المسلم، حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية، ومن ثم استغلالها بصورة نافعة بما يحقق أهداف الإسلام.

✓ تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.

✓ إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان المسلم.

✓ فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم بالقضايا والتلوث.

وتركز المواطنة البيئية علي إيجاد رادع ذاتي ينبع من داخل الإنسان، ويدفعه إلى حماية البيئة وصيانتها واحترامها. وهي تهدف بصفة عامة، إلى غرس مجموعة من القيم والمبادئ لدى أفراد المجتمع صغارا كانوا أم كبارا، لتساعدهم في أن يكونوا صالحين وقادرين على المشاركة الفعالة والنشطة في كافة قضايا البيئة ومشكلاتها، وبذلك يتطور مفهوم المواطنة ويصبح له مدلول أشمل يتعدى كون الإنسان مواطنا داخل وطنه فقط، إلى كونه عضوا نشطاً وفاعلاً وسط المجتمع البشري ككل، أي أنّ عليه واجبات تجاه العالم كله مثلما له واجبات نحو وطنه، بالتالي يصير مواطن ذا صبغة عالمية يحمل على عاتقه مسؤولية أوسع نطاقاً نحو بيئته ككل، وبذلك يصبح مفهوم المواطنة البيئية والسلوك البيئي الصحيح ضرورة وجودية لبقاء الإنسان وليس مجرد رغبة أو شعار، له أن يختاره أو يرفضه[1].

(1) http://www.beeaty.tv/vb/showthread.php?t=242,

الخاتمة:

إنّ التنمية المستدامة تمثل الاستعمال الفعّال لجميع المصادر، البيئية، الحياة الاجتماعية، والاقتصادية للمستقبل البعيد مع التركيز على حياة أفضل ذات قيمة عالية لكل فرد من أفراد المجتمع في الحاضر والمستقبل.

إنّ التنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها بمعزل عن البيئة، حيث إنّ التطور الاقتصادي الذي عرفه العالم خاصة البلدان الصناعية المتطورة، كان منطلقه اقتصاديا بحتا إذ ركزت هذه البلدان على تحقيق الفائدة المادية فقط دون الاهتمام بالآثار الناجمة عن طرق إنتاجها والتي أدت إلى ظهور مشكلات بيئية كبيرة، لم تقتصر على الدول المتقدمة بل تعدتها إلى البلدان النامية والفقيرة، التي اعتبرت كملجإ لنفايات الدول الصناعية الكبرى، التي زاد حدة فقرها لعدم قدرتها على مجابهة الآثار السلبية لتلوث البيئة.

ولقد بيّنت هذه الدراسة العناية الكبيرة التي أولاها الإسلام للبيئة، من خلال وضعه للأسس السليمة التي تحقق أحسن استغلال لمكونات البيئة والمحافظة عليها وصيانتها، وليس ثمة شك أنّ ما نعانيه اليوم من مشكلات وتدهور مطرد وخطير للبيئة سواء في مواردها أم طبقاتها الحامية، إنّ دل على شيء، فإنمّا يدل على أنّ البشرية لم تلتزم بتعاليم الإسلام القويمة في التعامل مع البيئة بل انطلقنا تحت نزعة الرغبة في تحقيق مكاسب سريعة ومؤقتة على حساب موارد البيئة ورصيد الأجيال القادمة في استغلال البيئة استغلالاً جائراً مدمراً وهي قضية خطيرة جداً بدأنا نعاني من إرهاصات نتائجها الخطيرة المتمثلة في مشكلات بيئية لا طاقة لنا على تحملها إذا ما تفاقمت ووصلت أوج خطورتها مثل مشكلة تدهور طبقة الأوزون، ومشكلة تزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون، وتدهور البيئة الحيوية والتصحر، تلوث البحار والمحيطات، جرف التربة وغيرها من المشكلات البيئية التي أصبحت سمة من سمات عصرنا الحاضر.

لقد آن الأوان أن نعيد النظر في مفاهيمنا وسلوكياتنا البيئية من منظور إسلامي ليتحقق لنا سلوكيات بيئية إسلامية راشدة تتعامل مع البيئة من منطق الحرص على صيانتها والمحافظة عليها.